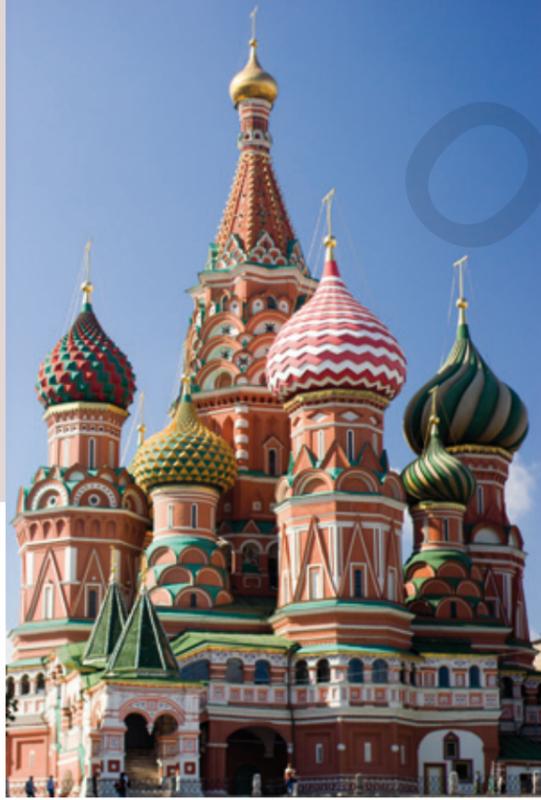


الأدب الروسي .. وفن الكتابة الروائية



افانوفتش فونفيتسين (1745 - 9217)، كما ظهر النقد الاجتماعي والسياسي في كتاب «في الأخلاق وتدهورها» الذي ألفه الأمير ميخائيل شربازوف (1733 - 1790)، وفي الصحف الهجائية التي نشرها نوفيكوف (1769 - 1774)، وفي كتاب راديتشيف: «رحلة من بطرسبرج إلى موسكو» (1790).

الكلاسيكية الجديدة والتنوير في الأدب الروسي

الكلاسيكية الجديدة والتنوير (1730 - 1790) رفض مبدعي الأدب الروسي في القرن الثامن عشر ميراث روسيا القروسطي ورجعهم

والفكر الغربي، فألف قصائده الهجائية باللغة الفرنسية أولاً 1749، ثم بالروسية 1762. ولكن الأدب الروسي الحقيقي لم يظهر إلا في كتابات تردياكوفسكي ولومونوسوف. كما بدأ المسرح الروسي بفضل جهود سوماروكوف. وكانت «الأمثال» من الأنواع الأدبية الرائجة، فكتب فيها سوماروكوف وخمنتسر، ولاسيما كريلوف، أما الأناشيد أو القصائد الغنائية، فقد طورها وهذبها تردياكوفسكي، ولومونوسوف، وبلغت حد الكمال عند درجافين. وقد شجعت الإمبراطورة كاترين الثانية المسرح، فألفت هي نفسها مسرحيات، وظهرت في عهدها الكوميديات الروسية الهامة، مثل: «قائد اللواء» (766)، و«الشباب الأمل» (1782) بقلم دنيس

الجديد أفاكوم، أحد رجال الدين المحافظين، الذي تميزت كتابته باللغة المعبرة والوصف الحي للحياة اليومية، كما أدخل الراهب سميون بولتسكي في الشعر نظاماً صادقاً، يعتمد على المقطع في الأدب الروسي.

وعمد القيصر بطرس الأول (الكبير) الذي بدأ حكمه عام 1682 إلى إدخال الطابع الغربي في الحياة الروسية، مما أدى إلى اكتساب الأدب الروسي صبغة غربية شاملة خلال القرن الثامن عشر. ويطلق على ميخائيل لومونوسوف لقب مؤسس الأدب الروسي الحديث ورائد المدرسة الكلاسيكية. فهو الذي أوجد الشعر الروسي الحديث الذي يعتمد على نسق منتظم من المقاطع الجزأة وغير الجزأة.

وفي الأربعينيات من القرن الثامن عشر ازدهرت المدرسة الكلاسيكية في روسيا تحت تأثير النماذج الغربية، وكان أصدق المعبرين عن ميادتها الكسندر سماروكوف الذي كتب قصصاً ومسرحيات وأعمالاً هجائية وأغاني.

وكان أبرز شعراء القرن السابع عشر كافريل درجافين الذي يمثل شعره نقطة التحول من الكلاسيكية إلى الرومانسية.

وقد كتب كوريسكي أيضاً «سيرة إيفان»، ولكنها نشرت لأول مرة (1853). كذلك من نتائج النزاع الكبير الذي نشأ في الكنيسة الروسية، في منتصف القرن السابع عشر، أن رئيس القساوسة أفاكوم (مات شهيداً في 1688) ترجم لحياته في كتاب يعتبر أول مؤلف باللغة الروسية العامية.

ومهد بطرس الأكبر لظهور أدب روسي أصيل، بتشجيعه للثقافة بوجه عام، فأنشأ أول صحيفة روسية، كما أسس أكاديمية العلوم. وسعى الأمير أنطويوك كانتيمير (1708 - 1744)، عن طريق الترجمة، إلى التوفيق بين الأدب الروسي

منذ العصر الذهبي والثقافة والحضارة الروسية أيام الإمبراطورة الروسية كاترين الثانية (1796 - 1762) وصولاً إلى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين عاش الأدب الروسي شهرة عالمية يستحقها أفلامها ومازالت اليوم تتابع مسيرتها كما عهدتها قراء وعشاق هذه الثقافة. عوضاً عن الروايات الرائجة ذات الأبعاد الفكرية والفلسفية والتربوية، والمصاغة بأسلوب فني مميز، مما جعل الأدب الكلاسيكي الروسي يحصل على موقع مميز في الأدب العالمي.

وفي أوائل القرن الخامس عشر ظهرت قصيدة «فيما وراء نهر دون» من تأليف سوفونيا الريزانانية، وفيها وصف شاعري لمعركة كوليكوفو (1380)، يتضح فيه أثر قصيدة «أنشودة جيش إيغور». كذلك ظهرت في هذه المرحلة المبكرة «رحلة إلى ما وراء البحار الثلاثة»، وهي وصف للهند في الفترة (1466 - 1474) بقلم أثنانازي نيكيتين. كما أن الرسائل المتبادلة بين إيفان الرهيب وصفيه القديم الأمير أندرية ميخائيلوفتش كوريسكي (الذي انضم إلى صفوف أعدائه) خلال الفترة بين (1528 - 1583)، تدل على براعة الأسلوب والقدرة على الهجاء اللاذع.

ومعظم الأدب الروسي القديم لم يكن من ما يمكن أن نعدده قصصاً فنياً، بل كتابة وقائع الحياة الفعلية. وفي ذلك الزمن لم يكن الشعر الموزون معروفاً في الأدب الروسي وكان يأخذ الشكل الموسيقي للترانيم والتراتيل الكنسية وفي الشكل الشفوي الموسيقي في الحكم والأمثال السائرة. وقد وفد الشعر المقطعي (الموزون) إلى روسيا من الغرب عبر أوكرانيا وروسيا البيضاء وبولندا.

بدايات الأدب الحديث في روسيا:

شهد القرن السابع عشر تحولاً جذرياً في الأدب الروسي، نتيجة ترجمة عدد كبير من الأعمال الأدبية الغربية وتقليدها. وظهر الشعر المقفى لأول مرة في روسيا. وكان أكبر كتاب هذا الأدب

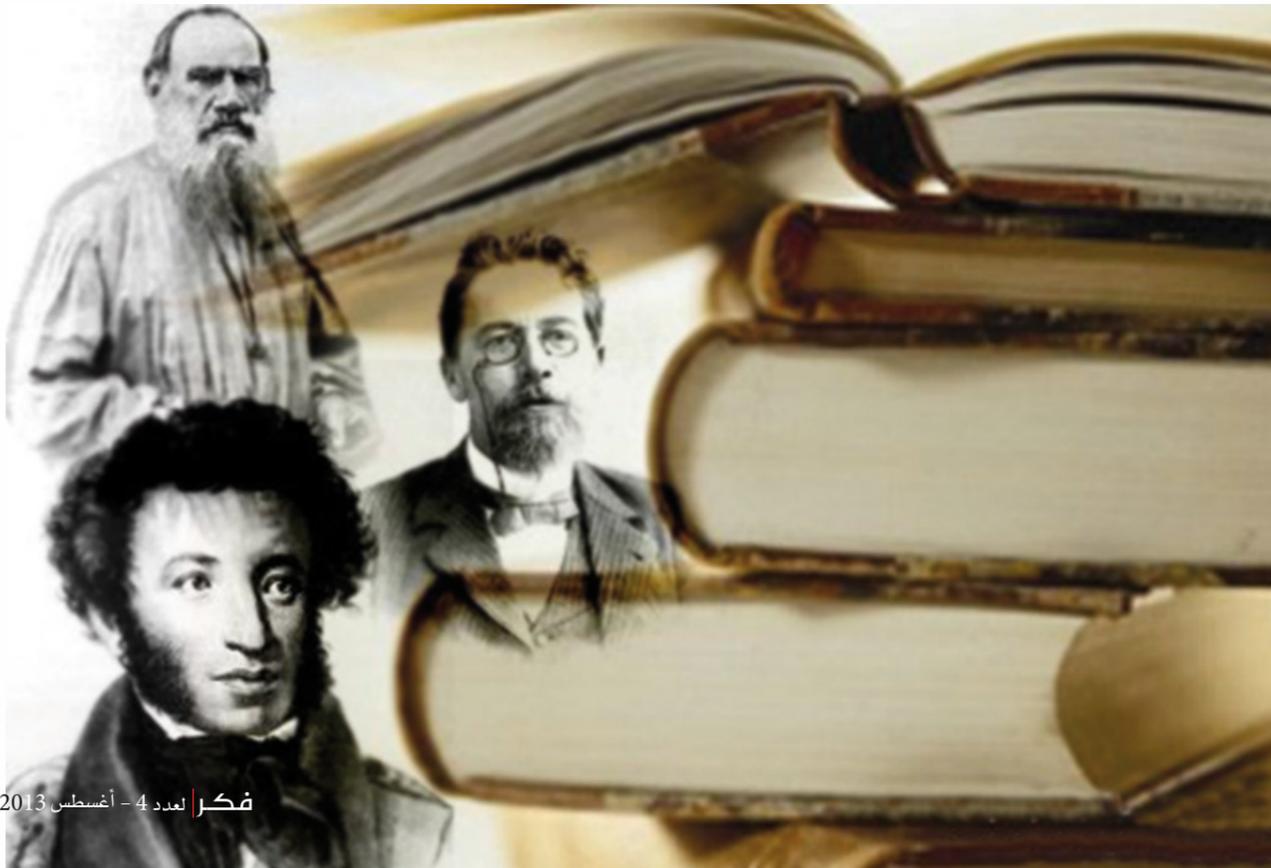
تطور الأدب الروسي من 988 - 1730

بدأ الأدب الروسي بتاريخ عظيم الأهمية بالنسبة للتاريخ السياسي والثقافي الروسي: إنه العام الميلادي 988. وفي ذلك الحين لم يكن ثمة أدب مكتوب في روسيا، لكن الأمير فلاديمير أرسى أسس ما نسميه الآن الأدب الروسي في العصر الوسيط، وإن لم يسجل هذا الأدب وجوداً حقيقياً أو فعلياً إلا بعد عدة سنوات لاحقة.

وكان معظمه في تلك الفترة دينياً على شكل مواعظ وأناشيد وسير للقدسين. وقد كتب رجال الدين الجزء الأكبر من هذا الأدب، وكانوا أيضاً قراءه. أما الأدب اللاديني فأهم عمل فيه هو التواريخ، إذ كانت عاصمة كل إمارة تحتفظ بسجل تؤرخ فيه الأحداث، وأهم أعمال تلك الفترة المبكرة القصيدة الملحمية النثرية (أنشودة جيش إيغور)، التي كتبها مؤلف مجهول في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي.

وهي شعر منثور باللغة السلافونية القديمة، التي ظلت لغة الأدب حتى أواخر القرن الثامن عشر، وتشيد هذه القصيدة البديعة بفعل «إيغور سفياتوسلا فوفيتسن» حين هاجم كيومانيا.

وقد اكتشفت في عام 1795، ويعتقد البعض أنها منحولة، ومع ذلك فقد كان لها أثر عميق في الأدب الروسي. كذلك ظهرت آثار أخرى كثيرة باللغة السلافونية القديمة، منها حوليات تاريخية، وقصص تدور حول حكم التتار، وترجمات لأباء الكنيسة.

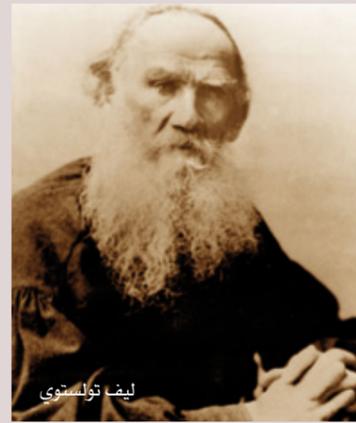




نيكولاي غوغول



الكسندر بوشكين



ليف تولستوي



الكسندر أوستروفسكي



انطون تشيخوف



ايفان تورغينيف

ومستشاراً أدبياً لتورغنيف.

وفي العقد الرابع من القرن التاسع عشر، ازدادت حدة النزاع الذي نشأ أيام بطرس الأكبر، وانقسم الفكر الروسي إلى معسكرين: معسكر يميل إلى الأخذ بالفكر الغربي، وآخر يحاول المحافظة على التراث القومي، وكان من نتائج هذا النزاع ظهور الحركة السلافية بين أتباع المعسكر الثاني. وعلى الرغم من أن هذه الحركة لم تتمخض عن كاتب كبير، فقد كان لها أثر عميق في كتابات ألكسندر ستيفانوفتش خوميياكوف (1804 - 1806)، والأخوين كيريفسكي ايفان (1806 - 1856)، وبيتر (1808 - 1856) وايفان اكساكوف، وميخائيل كاتكوف، وأخيراً نيقولاي ياكوفلنفس دانيلفسكي (1822 - 1885) الذي يعد كتابه «روسيا وأوربا» (1869) خير تعبير عن موقف الحركة السلافية، أما المعسكر الذي حيد الأخذ بالفكر الغربي فقد كان الناقد الكبير بيلينسكي أعظم من عبر عن مبادئه. ولكن الأدب الروسي أخذ يسير في الطريق الذي يلائم عبقرية الروس، وهو طريق المدرسة الواقعية، ابتداء من كتابات غوغول، ولاسيما قصته القصيرة «المعطف» (1842). ومن مبادئ هذه المدرسة شعور الكاتب بمسؤوليته الاجتماعية، واتخاذ الشعب والفلاحين أولاً، ثم الطبقات الوسطى فيما بعد، موضوعاً لكتابات، وكان أول من صنع ذلك في ميدان الشعر: نكرازوف، وفي ميدان النثر: غريغورفتش، الذي حذا حذو غوخاروف، وبيزمسكي، وسالتيكوف، وأخيراً الروائيون الثلاثة الكبار: تورجينيف، دوستوفسكي، ليو تولستوي. كما أن الواقعية في القصة القصيرة بلغت الذروة عند تشيخوف، وكانت أعظم المسرحيات الواقعية في هذا العصر مسرحيات تشيخوف وأوستروفسكي. ويعتبر هذا العصر بحق العصر الذهبي للأدب العالمي.

باختصار كان ثمة شيء ما يدعو إلى الإعجاب في البطل الرومانتيكي. وحصل تغير هام آخر خلال المرحلة الرومانتيكية في وضع الكاتب. في السابق لم يتوقع المؤلفون كسب عيشهم من كتابتهم، أو حتى الحصول على ما يشبه الدخل لقاءها، لكن الآن أصبح الأدب أكثر نوعاً من سلعة ذات قيمة في سوق. صار على الكاتب الآن من أجل إعالة نفسه أن يقدم نتاجاً يمكن أن يحظى باستحسان القراء ويدفعهم بالتالي لشراءه.

العشرية الروسية الأعجوبة

وكان القرن التاسع عشر: المدرسة الطبيعية وما استتبعها (1840 - 1855) أن أربعينيات القرن التاسع عشر تشغل مكانة خاصة في الذاكرة التاريخية للانلجنتسيا لدرجة تسميتها بـ (العشرية الروسية الأعجوبة). فكان القسم الأعظم من هذه العشرية مرحلة بدايات فلسفية، ثقافية وأدبية عظيمة قطعها فجأة ما سمي تفجر ثورات عام 1848 الأوروبية واستمر مع تورط روسيا في حرب القرم وفي السنوات الممتدة من عام 1840 إلى عام 1855 المرحلة نرى سنوات عظيمة لسيادة الرومانتيكية إلى زمن الواقعيين الروس الذين أكسبوا الأدب الروسي شهرة عالمية.

احتل غريغوريفتش بيلينسكي - (1811 - 1848) وهو ناقد أدبي روسي معروف وفيلسوف، صاحب المدرسة الطبيعية في الفلسفة. كان له تأثير كبير على تطور الأدب والفكر الاجتماعي في روسيا - احتل مركز الصدارة في الميدان الفكري والأدبي في أربعينيات القرن. وكان هو الذي يقرر كيف ينظر في العمل الأدبي، ولعب بيلينسكي أيضاً دور مرشد لتلك الكوكبة من كتاب النثر الممتازين الذين ولجوا ميدان الأدب فيما بين 1840 و1848. فكان أول من قرأ عمل دوستوفسكي الأول، وكان صديقاً قريباً

فلاديمير الكساندروفتش أوزيروف (1770 - 1816)، ولا سيما مسرحية دمترى دونسكوي (1807). وهكذا أصبحت اللغة الروسية لغة أدب رفيع، بفضل جهود رواد الكتابة، أمثال: لومونوسوف، وكارامتسين، والشاعر الغنائي بانفوشكوف، والمترجم جوكوفسكي. والواقع أن جوكوفسكي هو الذي نقل روح الحركة الرومانسية الأوروبية إلى الأدب الروسي، ولكن شاعر الحركة الرومانسية الروسية الأكبر هو بوشكين، وأشهر قصائده: (بوجين أونيجين)، وإن كان قد ألف أيضاً عدة قصص قصيرة، وروايات ومسرحيات، ويعتبر بوشكين عملاقاً بالقياس إلى معاصريه من الشعراء الروس، باستثناء ليرمنتوف الذي كان يصغره سناً، ومن أشهر كتاب العصر الرومانسي الشعراء: ايوجين ابراموفتش باراتسكي (1800 - 1844)، ونيقولاي ميخائيلوفتش يازيكوف (-1803 1846). وكاتب القصص القصيرة بيستوجيف.

ذروة الرومانتيكية

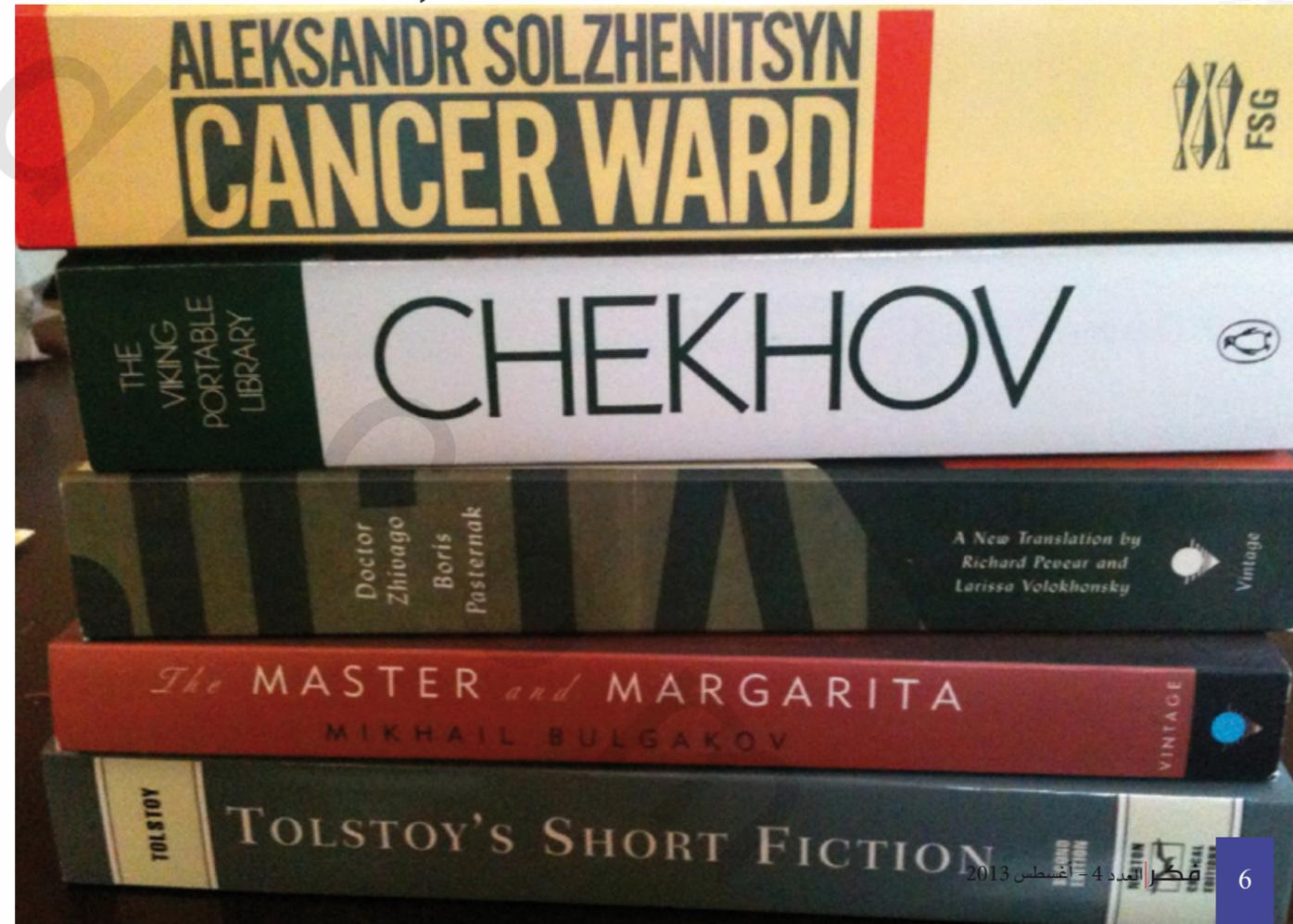
كان القرن التاسع عشر: الرومانتيكية (1820 - 1840). حيث نرى أن العقود بين عامي 1820 و1840 شهدت ذروة الرومانتيكية الروسية، وكذلك المحطات الأولى للمرحلة العظمى في تاريخ الأدب الروسي التي امتدت تقريباً من عام 1820 وحتى الحرب العالمية الأولى. وقد بدأت الرومانتيكية الروسية مع تركيز قوي على الشعر. صارت الكلاسيكية الجديدة في حوالي 1820، وتحديداً عام 1825، من الماضي: برغم أن مقاربة بوشكين الأدبية احتفظت بعناصر كلاسيكية كثيرة، فإن هذه العناصر كانت قليلة أو نادرة عند غوغول وعند ليرمنتوف. فقد ركز الأدب الجديد على الروح الفردية، على الإنسان فوق العادي الذي كان بطريقة ما فوق المجتمع.

ويلاحظ عند الانتقال إلى العصر الحديث: السنتمنتالية وبواكير الرومانتيكية (1790 - 1820) أن الحراك الفكري قد بلغ ذروته في الانتفاضة الديسمبرية المجهضة في عام 1825، وأنه في تلك الفترة لم يكن ممكناً توجه قسم كبير من طاقات الأمة نحو الأدب.

في الإطار الأدبي ابتدأت هذه المرحلة مع عمل عكس بصدق التوترات في هذه السنوات الثلاثين الفاصلة المتميزة باضطراب وفوضى ثقافية حدث تحول عظيم في مقاربة الأدب للعالم عبر عنه بجدارة آرثر لوفجوي (مؤرخ أمريكي ومؤسس تاريخ الأفكار) عندما رأى أنه خلال سنوات الكلاسيكية الجديدة والتنوير تطلع إطار

الكلاسيكية الجديدة قد طرح مسائل أخلاقية واجتماعية وقضايا تخص المجتمع بالإجمال وكانت من مشاغل واهتمامات الدولة. لم ير الكاتب من المناسب التحدث عن نفسه أو عن تجاربه الشخصية: صار نظره متركزاً على القضايا الكبرى. وفي الحقيقة كان عديد من كتاب القرن الثامن عشر من ذوي الشخصيات المتميزة بذكائها وتحصيلها، لكنهم لم يتحدثوا أو يعبروا عن أنفسهم مباشرة في كتاباتهم. بالتالي حاول الأدب في القرن الثامن عشر أن يكون مرشداً جدياً للمجتمع ككل في المسائل الهامة.

السنتمنتالية وبواكير الرومانتيكية





مكسيم غوركي



الكسندر بلوك



الكسندر كوبرين



فالنتين راسبوتين



إيفان بونين



الكسندر سولجنستين

عصر الواقعية والحدائث وما بعدهما

وفي القرن التاسع عشر: عصر الواقعية بوصفه بداية مرحلة الأوج في تطور النثر الواقعي الروسي. وشهد العام نشر أطروحة تشيرنيشيفسكي (العلاقات الجمالية للفن بالواقع). تميزت السنوات الممتدة بين عامي (1855 و1880) بنضج كثير من جوانب الحياة الروسية.

وكان هذا القرن ما بين الواقعية والحدائث الذي أعطاه للأدب الروسي وازدهار الواقعية في الفترة - الممتدة من عام 1855 إلى عام 1880 كان من الكتاب الروائيين الروس الكبار دوستويفسكي الذي اشتهر برواياته بالأوصاف الدراماتيكية للصراعات الداخلية، والتي تعاني شخصياتها من تنازع روحي عنيف بين إيمانهم بالله ومشاعرهم القوية المفعمة بالكبرياء والأنانية.

وفي ثمانينيات القرن التاسع عشر، ظهر رد فعل عكسي للاتجاه الواقعي في شكل الحركة الرمزية، التي بلغت أوجها في العقد العاشر من القرن، وذلك في نتاج سولوجوب، وبريسوف، وأنينسكي، وبلي، وبلوك، وبالمونت، ورمستوف. ويتضح رد الفعل هذا أيضاً في مؤلفات فلاديمير سولوفيف، ذات الطابع الديني الفلسفي، وفي الروايات التاريخية لمريجكوفسكي.

ويصف لنا دوستويفسكي في الجريمة والعقاب (1866)، وهي روايته الأكثر إثارة، حالة أحد القتلة وهو يقاسي عذاب الضمير، ثم يسترد البطل حالته الطبيعية، عندما يعترف بجريمته ويرضى بالعقاب الذي يستحقه. ورواية المسوس (1871-1872) والتي تُعرف أيضاً بالأبالسة، يصف لنا فيها الكُتَّاب السياسيين المتطرفين. وفي رواية الإخوة كارامازوف (1879 - 1880)،

وهي آخر روايات دوستويفسكي وأعظمها، يتحدث عن رجل شرير يقتله أحد أبنائه الأربعة. والصورة الرمزية التي يعرضها المؤلف عن نجاة الأبناء الآخرين من الخطيئة، هي إيمانه بالقدرة الإلهية على إنقاذ الناس من الخطيئة. وخضع تولستوي وهو أكبر كاتب روسي في الأدب - فترة نشاط ثقافي أقل، على الرغم من أن أي عصر احتوى كُتَّاباً من مثل قامته تشيخوف لا بد أن يعتبر متميزاً. شهدت هذه المرحلة الانتقالية على الصعيد الأيديولوجي هيمنة تولستوي في أواخر حياته الذي انكب، بعد أزمته الفكرية - الروحية في عام 1879 - 1880، على الوعظ الأخلاقي في الأدب، ونبذ تولستوي القيم الرومانسية للبطلية والحب العذري وأظهر بدلاً من ذلك اهتماماً عميقاً بالمرحلة الطبيعية للنمو البشري، كالولادة والزواج والوفاة. وروايته الرائعة الحرب والسلام (1869) جلبت الانتباه إلى طبيعة الاجتياح الفرنسي لروسيا وبنيرانه عام 1812. ولكن الرواية ترفض كذلك فكرة الحرب وتكشف عن رغبة تولستوي في حياة هادئة تسجم مع الطبيعة. وفي أنا كارينينا (1875-1877)

هاجم تولستوي الحب الرومانسي باعتباره ضرباً من الانغماس الذاتي وشجع بدلاً من ذلك الإحساس بالواجب الأخلاقي وحب الأسرة. أما روايته موت إيفان إيليتش فإنها صورة مرعبة لموت رجل، وقبوله لمصيره المحتوم باعتبار ذلك نهاية طبيعية للحياة. وبقي لتولستوي حضور أدبي لبعض الوقت؛ أما الاهتمام الجديد في روسيا فكان من نصيب أنطون تشيخوف وهو من كتاب القصة القصيرة والمسرحية البارزين الذي نُعت بمؤرخ سيرة الطبقة الإقطاعية، وراصد حال الانتلجنسيا وقد فقدت بشكل ما مراسيها. ومعظم أعماله تتعلق بالسأم والإحباط من

الحياة. وفي رواية لونييتش (1898) يورد تشيخوف قصة طبيب مثالي حساس، يصبح كسولاً ومعجباً بنفسه كلما تقدم في العمر. والعم فانيا (1899) مسرحية عن أحد المثقفين الذين يصيبهم الضياع، فيعيش حياة واقعية، بينما كان يعتقد بأنه يكرس نفسه للمثاليات. وتحكي الأخوات الثلاث (1901) قصة أسرة يتصف أعضاؤها بضعف شديد في الإرادة، بحيث لا يبذلون أي جهد لتحسين أوضاعهم المعيشية السيئة. ويبحث تشيخوف في بستان الكررز (1904) انحلال دور الأشراف أصحاب الأرض.

وفي 1912 نشأت حركة في الشعر، تزعمها جوميليف، وجوروديتسكي، ترمي إلى العودة إلى الصور الشعرية الحسية المحدودة، ومن أتباع هذه المدرسة الشعاعان: ماندلستام، وأخامتوفا. ومن الروائيين البارزين الذين جاؤوا بعد العصر الذهبي للرواية: جارشين، كورولنيكو، ولكن أبرزهم جميعاً: مكسيم غوركي آخر الأدباء الروس الكبار من الواقعيين والذي تعكس أعماله الأدبية المبكرة فلسفته الشيوعية، والذي أدخل نغمة ثورية في المدرسة الواقعية. وتوضح هذه النزعة الثورية أيضاً في مؤلفات تلميذه ليوفيت أندرييف من قصص ومسرحيات، على حين أن إيفان بونين الذي كان ينتمي أيضاً إلى حلقة غوركي، والذي نال جائزة نوبل، ظل محافظاً على الأسلوب الواقعي التقليدي.

وفي روايات ومسرحيات وقصص مكسيم غوركي، وهو يصف الفقر المدقع الذي تعاني منه الطبقات الدنيا. وأشهر مسرحيات غوركي الأعماق الدنيا (1902) التي يفرغ فيها المؤلف الحياة البائسة التي يعيشها ساكنو أحد الملاجئ في قالب مسرحي. وكثير من الأفكار الرئيسية لأعمال غوركي المتأخرة كانت تتضمن انحلال الطبقة المتوسطة العليا، كما نشاهد ذلك في

رواية أعمال الأرتاموفيين (1925) كذلك كتب غوركي سيرته الذاتية المفصلة ونشر مذكراته حول من التقى بهم وصادقهم من كبار الكتاب الروس.

وكان لهذا القرن تيار الحدائث (1895-1925) نشهد هيمنة تيار الحدائث وعدد آخر من المذاهب صاغها وأنشأها كتاب نظروا إلى الثقافة ككينونة تبدها العقول الإنسانية. وعندما سادت الحدائث في أشكالها المختلفة احتلت المسرح لبعض الوقت حتى بعد الزلزالين السياسيين المتمثلين بالحرب العالمية الأولى وثورة أكتوبر. فأدب المرحلة الأولى من العشرينيات، الذي تعاطى مع هذين الحدثين، بقي حدثياً في مقاربه حتى حدود عام 1925. وبدأ عصر الحدائث كتمرد واضح ضد الميراث المادي لستينيات القرن التاسع عشر.

انقسم الأدب الروسي في مطلع عشرينيات القرن العشرين إلى شقين هامين لكن غير متعادلين، هما الواقعية والرمزية، ودون أن تكون لأي منهما قوة كافية كي تسود على الأخرى.

عصر الواقعية الاشتراكية

تمثل الثورة الشيوعية عام 1917 بداية عصر جديد في الأدب الروسي، فقد أحكمت الرقابة على الأدب، وهاجر كتاب كثيرون مثل: بونين، وكوبرين، ومرجكوفسكي، وألدانوف، وسُجِنَ وأُعدِمَ كثيرون غيرهم، وسيطرت الدولة والحزب على المطابع والصحافة.

وكان عصر الواقعية الاشتراكية (1925-1953) حيث نرى أنه إذا كان العام الذي تبدأ به هذه المرحلة - 1925 - ذا أهمية أدبية وسياسية، كعام فرض فيه النظام الشيوعي القائم حديثاً سلطته على الأدب والثقافة، فإن تاريخ نهايتها (أي المرحلة) ذو أهمية سياسية بالدرجة الأولى: فهو العام الذي شهد موت

جوزيف ستالين والمفصل التاريخي السياسي المناسب تماماً لاختتام هذه المرحلة من الأدب الروسي التي ترابط فيها الأدب والسياسة معاً بشكل وثيق أكثر من أي وقت على امتداد تاريخ الأدب الروسي. أحدثت الضغوط السياسية في الفترة الأولى من الحكم السوفياتي انقسام الأدب الروسي إلى شطرين قسم رئيس داخل الاتحاد وقسم آخر اختار الهجرة إلى خارج البلاد. في تلك الأثناء عانى كثير من الكتاب الموهوبين من القيود الثقافية الشديدة في السنوات الأخيرة من العشرينيات.

وفي العشرينيات من القرن العشرين خففت الدولة من قبضتها الصارمة، وظهرت مجموعة جديدة من الشعراء والروائيين تُدعى رفاق السفر، من أهم أعضائها كاتب القصة إيزاك بابل والروائيان ليونيد ليونوف وألكسي تولستوي. ولكن الدولة فرضت على الكتاب أن يخدموا أغراضها، فظهرت روايات المصانع مثلاً، مع بدء الخطة الخمسية الأولى عام 1928.

وفي الثلاثينيات حظرت الحكومة نشاط جميع الجمعيات الأدبية، وأنشأت اتحاد الكتاب السوفيات الذي ابتدع نظرية الواقعية الاشتراكية، وطرد من الاتحاد كل من لم يلتزم بهذه النظرية. وازدهرت الرواية التاريخية في تلك الفترة، ومن أفضلها الرواية الملحمية «وبهدهو يتدفق الدون» (1928 - 1940) لميخائيل شولوخوف. وأثناء الحرب العالمية الثانية، مُنح الكُتَّاب قدراً أكبر من الحرية وظهرت روايات وطنية، منها أيام وليال لتسطنطين سيمونوف.

خففت القيود مرة أخرى بعد وفاة ستالين، ولكن الرقابة الصارمة عادت بعد نشر رواية ألكسندر سولزنستين يوم في حياة إيفان دنوسوفيتش (1962) وفي الستينيات، برزت مجموعة من الكتاب الشبان المتحررين ومنهم الشاعر يفجيني يفتشينكو.

وبسبب الرقابة والقيود كانت بعض الأعمال الأدبية تُداول سراً على شكل مخطوطات، ونشر بعضها خارج الإتحاد السوفياتي السابق مثل رواية دكتور زيفاجو.

ومن الأعمال التي نُشرت في الخارج قصص وروايات أندريه سنيافسكي، الذي استخدم اسم أبرام ترتر، وأعمال سولجنستين الذي منح جائزة نوبل للأدب عام 1970 ونفي من الاتحاد السوفياتي عام 1974.

ورغم القيود السياسية في السبعينيات استمر عدد من الأدباء في انتقاد المجتمع السوفياتي، وفضح ما فيه من أنانية ونفاق. وفي منتصف الثمانينيات وحتى أوائل التسعينيات من القرن العشرين تضاءلت الرقابة إلى حد كبير في ظل سياسة الانفتاح (الجلاسنوست)، التي تبناها ميخائيل غورباتشوف، ونُشرت لأول مرة بعض الأعمال الأدبية المهمة، التي كانت محظورة في السابق. وبتفكك الاتحاد السوفياتي عام 1991 إلى دول مستقلة، انتهى عهد الأدب السوفياتي.

الأدب الروسي في ثمانينيات القرن العشرين: عشية انهيار الدولة السوفياتية، الذي قسم عقد ثمانينيات القرن العشرين إلى نصفين متساويين. وفيها كان يقال إن روسيا السوفياتية هي البلاد ذات العدد الأكبر من القراء. حيث واصل كتاب كثر إبداع أدب أصيل. وبرغم أنهم كانوا متشككين بخصوص المستقبل، وخاطروا بفقد حريتهم وحتى حياتهم، فإنهم خطوا كتباً وفق ما أمله ضمائر واحتفظوا بها في الأدراج بانتظار أيام أفضل. وفي نهاية الثمانينيات تداعت فجأة جدران الرقابة التي صمدت راسخة لسبعين عاماً وصار بالإمكان قراءة ونشر كل الأدب الروسي، وحتى الذي كان ممنوعاً لسنوات طويلة.

أشهر كتاب الرواية الروسية



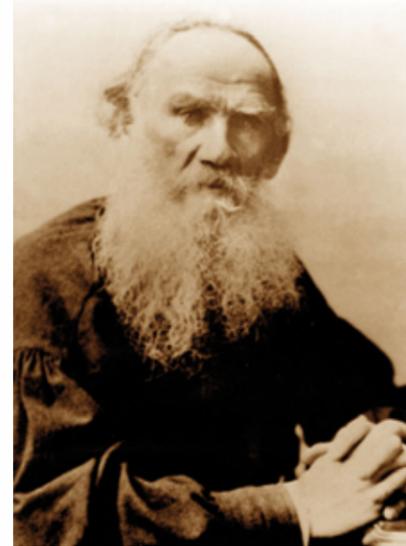
فيودور دوستوفسكي

يتمتع الكاتب الروسي فيودور ميخائيلوفيتش دوستوفسكي (1821 - 1881) بشهرة يتمتع الكاتب الروسي فيودور ميخائيلوفيتش دوستوفسكي (1821 - 1881) عالمية واسعة. وقد ترجمت أعماله إلى العديد من اللغات وأصبحت أفكارها وشخصياتها جزءاً من تراث البشرية الروحي. أن أؤمن ما في توارثه هو رواياته. وقد اشتهرت في العالم بصفة خاصة روايتا (الجريمة والعقاب) و(الأخوة كارامازوف) اللتان عبرتا بأكمل صورة عن فلسفة الكاتب. بيد أن رواياته الأخرى (مذنون ومهانون) و(الأبله) و(الشياطين) و(المراهق) على جانب كبير من الأهمية والطرافة. كان دوستوفسكي إنساناً ألباً وعنيفاً في الدفاع عن معتقداته، وقد ترك ذلك كل بصماته على أعماله. ولد فيودور دوستوفسكي في 11 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1821 بموسكو. انبهر بالطموحات المثالية للكاتب الألماني شيلر، وأحب روايات ديكنز الذي كان يجيد إثارة العطف على الناس المهانين. وكانت قريبة إلى نفسه تعرية التناقضات الاجتماعية في أعمال بلزاك الذي ترجم له فيودور دوستوفسكي رواية (أوجين غراندي) قبل عامين من إصداره لأول عمل أدبي هو رواية (المساكين) عام 1846 التي نشرت في مجلة (سوفريمينيك) المعاصر وأقبل عليه القراء بتهاوت قوي. كان فيودور دوستوفسكي يعيش آنذاك في بطرسبورغ حيث تخرج من كلية الهندسة، لكنه لم يلتحق بالوظيفة، إذ لمس في نفسه أنه أديب بالفطرة. وتعرف فيودور دوستوفسكي عن قرب بالنقاد الروسي البارز فيساريون بيلينسكي الذي كان يتزعم كوكبة الجريمة والعقاب من الأدباء الشبان من أنصار

ما يسمى بـ (المدرسة الطبيعية) وهي التسمية التي اصطلح آنذاك على إطلاقها على أدباء الاتجاه الواقعي. ثم توالى بعد رواية (المساكين) أعمال الكاتب الأخرى (المثل أو الشبه) و(ربة المنزل) و(الليالي البيضاء) التي كشفت عن جوانب جديدة من موهبته لكنها لم تجلب له اهتمام الناس. انضم فيودور دوستوفسكي إلى حلقة (زملاء بيتراشيفسكي) الذين أسسوا جماعة شبه سرية. وتمكنت الشرطة من تتبع الجماعة حتى ألفت القبض على أعضائها في ربيع عام 1849. وحكم على دوستوفسكي بالإعدام، لكنه في آخر لحظة وقبل تنفيذ حكم الإعدام بحقه صدر مرسوم قيصري يقضى باستبدال الإعدام بأربعة أعوام من الأعمال الشاقة في مقاطعة أومسك بسيبيريا. وعاش دوستوفسكي عملياً وهو واقف على منصة الإعدام ويتدلى فوق رأسه حبل المشنقة، عايش طقوس تنفيذ حكم الإعدام التي ضلت تلازمه طوال حياته، وقد وصف هذا المشهد الرهيب في روايته (الأبله).

وقد وصف حياته وهو يقضي حكم الأعمال الشاقة في كتابه (ذكريات من منزل الأموات). أُلغى هناك بلعب القمار، الأمر الذي جعله يواجه دوماً حاجة ماسة إلى الأموال واضطره إلى عقد صفقات غير عادلة مع أصحاب النشر والطباعة لإصدار رواياته. عاش دوستوفسكي الأعوام الثمانية الأخيرة من حياته في مدينة ستاراي روزا بمحافظة نوفغورود بشمال غرب روسيا. وتعد هذه المرحلة مثمرة في نتاجه الأدبي حين أبداع روايات (الشياطين) عام 1872 و(المراهق) عام 1875 و(الأخوة كارامازوف) عام 1880. وذاع صيته في روسيا كلها وخاصة بعد إلقاء كلمة مشهورة في مراسم افتتاح تمثال الشاعر الروسي العظيم الكسندر بوشكين في موسكو. لكن المجد الحقيقي وإكليل الغار نزل على دوستوفسكي بعد وفاته. واعترف الفيلسوف الألماني المعروف فريدريك نيتشه أن دوستوفسكي كان بالنسبة له سيكولوجياً وحيداً جديراً بالتعلم منه. يتصارع في عالم دوستوفسكي الفني الخير مع الشر والحقيقة مع الزيف. ومضمار هذا الصراع هو قلب الإنسان على حد تعبير إحدى شخصيات روايته (الأخوة كارامازوف).

للمشاهدة: دوستوفسكي (الجزء الأول) **إضغظ هنا**
وللمشاهدة (الجزء الثاني) **إضغظ هنا**
وللمشاهدة دوستوفسكي والبحث عن أجوبة للأسئلة



ليف تولستوي

ولد الكونت ليف تولستوي في عام 1828 في ياسنايا بوليانا، وهي ضيعة صغيرة تمتلكها عائلته الأرستقراطية قرب موسكو. توفي والداه عندما كان صبياً صغيراً، وتولت خالته تربيته. وقد تلقى تولستوي تعليمه الابتدائي على يد مدرسين خصوصيين أجانب. في عام 1844 التحق تولستوي بجامعة قازان، إلا أنه سرعان ما ضجر من طريقة التدريس، فترك الدراسة عام 1847 قبل أن يتخرج، وعاد إلى مسقط رأسه. بدأ تولستوي ينهل من مصادر العلم والمعرفة بدون مساعدة أحد. في عام 1851 سافر إلى القوقاز حيث شارك في الحرب القوقازية. وألف هناك روايته الأولى (الطفولة) التي استند فيها على ذكرياته شخصية. وبعد فترة تابع كتابة سيرته الذاتية مؤلفاً روايتين وهما: (الفتوة) و(أيام الشباب). أثرت فيه النتائج المأساوية للحرب. وحقق الشهرة لدى نشر مقالاته عن حرب القرم تحت عنوان (قصص من سيفاستوبول). يأخذ موضوع الحرب اهتماماً كبيراً في مؤلفاته وخصوصاً في أشهر رواياته (الحرب والسلام) التي كتبها في أعوام 1863-1868. وهي ملحمة تاريخية تغطي الحوادث السياسية والعسكرية في أوروبا فيما بين الأعوام 1805 و1820، ويتناول فيها تولستوي غزو نابليون لروسيا عام 1812. وأنجز تولستوي في عام 1877 رائته الثانية (أنا كارنينا) التي عالج فيها قضايا اجتماعية وأخلاقية وفلسفية تصور مأساة امرأة وقعت

في أسر العواطف الجامحة. ويعري فيها الكاتب الأسس العائلية الزائفة لمجتمعه. تتربع الروايتان (الحرب والسلام) و (أنا كارنينا) على قمة الأدب الواقعي، فهما يعطيان صورة واقعية للحياة الروسية في تلك الحقبة الزمنية. ويبرز تولستوي فيها كروائي ومصالح اجتماعي وداعية سلام ومفكر. في عام 1862 تزوج تولستوي من صوفيا اندرييفنا بيرس، وأحال نفسه إلى التقاعد. بعد أن ترك الجيش، قام تولستوي بعدة رحلات إلى غرب أوروبا، عكف فيها على تعلم أساليب التدريس، وطرق التربية. وعند عودته إلى ضيعته، افتتح مدرسة لأولاد الفقراء، كان التعليم فيها معتمداً على الأساليب التربوية التي تعلمها تولستوي خلال رحلاته. كما أنشأ مجلة تربوية بعنوان (ياسنايا بوليانا) طرح فيها أفكاره التربوية ونشرها بين الناس. تعمق تولستوي في القراءات الدينية، وقام الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا، ودعا للسلام وعدم الاستغلال، وعارض القوة والعنف في شتى صورهما. لكن الكنيسة لم تقبل آراء تولستوي التي انشرت بسرعة، فكفرتة وأعلنت حرمانه من رعايتها. وأعجب بأرائه عدد كبير من الناس وكانوا يزورونه في مقره بعد أن عاش حياة المزارعين البسطاء تاركاً عائلته الثرية المترفة. وهو كنيستوف أخلاقي اعتنق أفكار المقاومة السلمية النابذة للعنف وتبلور ذلك في كتاب (مملكة الرب بداخلك) وهو العمل الذي أثر على مشاهير القرن العشرين مثل المهاتما غاندي ومارتن لوتر كينج في جهادهما الذي اتسم بسياسة المقاومة السلمية النابذة للعنف. وأشهر أعماله التي كتبها في أواخر حياته كانت (البعث) وهي قصة كتبها وتليها في الشهرة قصة (الشیطان) ورواية (الميت الحي) ومسرحية (سلطان الظلام) وروايات (كريستورف سوناتا)، و(الحاج مراد) و(وفاة ايفان ايليتش) وقصة (الأب سيرغي) والتي توضح عمق معرفته بعلم النفس، ومهارته في الكتابة الأدبية. وقد اتصفت كل أعماله بالجدية والعمق وبالطرافة والجمال. في 20 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1910، توفي تولستوي في قرية استابو حين هرب من بيته وحياته الترف، وأصيب بالالتهاب الرئوي في الطريق، وكان قد بلغ من العمر 82 عاماً. ودفن في حديقة ضيعة ياسنايا بوليانا بعد أن رفض الكهنة دفنه وفق الطقوس الدينية الأرثوذكسية.

لمشاهدة: ليف تولستوي (الجزء الأول) **إضغظ هنا**
وللمشاهدة (الجزء الثاني) **إضغظ هنا**
وللمشاهدة أفكار تولستوي... **إضغظ هنا**



ايفان تورغينيف

ايفان تورغينيف هو كاتب روسي مشهور عالمياً ومؤلف الروايات والقصص والأشعار التي عكست حياة شتى فئات المجتمع الروسي في القرن التاسع عشر ابتداءً من الفلاحين وانتهاءً بالنبل. ومن أشهر رواياته (الآباء والبنون) عام 1862 و(عش النبلاء) عام 1859، كما أنه اشتهر بقصصه مثل (مذكرات صياد) عام 1852 و(مومو) عام 1854. ولد تورغينيف في 28 تشرين الأول/أكتوبر عام 1818 بمدينة اوربول. أمضى ايفان تورغينيف طفولته في ضيعة أمه سباسكويه - لوتوفينوفو وتعلم على أيدي أساتذة من مختلفة القوميات ما عدا القومية الروسية. درس في كلية الفلسفة والآداب بجامعة بطرسبورغ التي أنشأها عام 1837. ونشر أول قصيدة له عام 1838. درس تورغينيف من 1838 - 1840 في جامعة برلين حيث تعلم على الفلسفة واللغات القديمة. وصدر عام 1843 أول ديوان شعري له وقعه بحري/ت/ و/ل/، نسبة إلى عائلتي أبيه تورغينيف وأمه لوتوفينوفا. تعارف تورغينيف عام 1845 على المغنية الفرنسية بولينا فياردو غارسيا التي ترجم زوجها مؤلفاته إلى اللغة الفرنسية وحافظ على العلاقة الوثيقة بعائلتها على مدى 38 سنة. وقطعت عنه أمه الدعم المالي لعلاقته بهذه المغنية (الفجرية المعونة) على حد تعبيرها. وغادر تورغينيف مع عائلة فياردو روسيا عام 1847 وأقام بفرنسا حيث كان يواجه مشاكل مالية، ولم يعد إلى الوطن إلا بعد موت أمه عام 1850. فتقاسم الشقيقان تورغينيف تركة كبيرة خلفتها أهما. ومنح ايفان تورغينيف الحرية للفلاحين الاقنان في ضيعته. ثم عاد إلى الغرب حيث انضم في السبعينيات إلى الحلقة الأدبية التي كان كل من كبار الكتاب الفرنسيين الواقعيين مثل ألفونس دوديه وأميل زولا وجوستاف فلوبير والأخوان غونكور أعضاء فيها. وانتخب تورغينيف عام 1878 نائباً لرئيس

المؤتمر الأدبي الدولي في باريس، الأمر الذي أثبت شهرته الأوروبية. وترجمت معظم مؤلفاته إلى اللغات الفرنسية والانجليزية والألمانية. فيما لم ترحب السلطات الروسية أولاً بنزعه الأدبية المحبة للحرية. وتم سجنه لمدة شهر عام 1852 لنشره رثاء بمناسبة وفاة الكاتب الروسي نيكولاي غوغول، الأمر الذي جعل الرقابة الحكومية تفرض حظراً عليه. وأرسل إلى ضيعته حيث أمضى عامين، ثم هاجر إلى أوروبا. ومنذ ذلك الحين عاش تورغينيف مرة في روسيا ومرة في الخارج حتى استقر بعد ذلك في مدينة بادن بادن السياحية الألمانية. ومنها أخذ يزور الوطن من وقت إلى آخر. إلا أن نهوض حركة التحرر في روسيا وتحرير الفلاحين الاقنان عام 1861 وتطور الحركة الأدبية في العاصمتين الروسييتين بطرسبورغ وموسكو أجبرت السلطات والنقاد الأدبيين على الاعتراف بالدور الكبير الذي يلعبه تورغينيف في حياة روسيا الأدبية وخاصة بعد نشره لمجموعة القصص (مذكرات صياد) حيث وصف حياة الفلاحين بأسلوب واقعي ورومانسي في آن واحد، وكذلك الروايات (الآباء والبنون) و(عش النبلاء) و(رودين) و(في العشية) و(دخان) وعدد من المسرحيات حيث عرض من خلال إبداعاته هذه وجهة نظر لروسيا حيث لا يسود فيها النبلاء فقط كما هو الحال في السابق بل وممثلون عن فئات المجتمع الأخرى. كان تورغينيف يحس إحساساً حاداً باليون بين المستوى الرفيع لفكر المثقفين التقدميين من جيله وبين تخلف روسيا التي كانت بحاجة إلى تحولات اجتماعية جذرية. لذلك لا نجد في رواياته حلولاً لجميع التساؤلات والتناقضات. فقد كان تورغينيف يرى أن واجب الفنان لا في أن يعلم بل في أن يفهم الحياة ويعبر عنها في إبداعه الفني. تذكر تورغينيف في آخر مرحلة حياته ولعه بالفلسفة أيام شبابه فعكف على كتابة التصانيد الفلسفية النثرية التي عبر فيها عن موقفه من الحياة والمجتمع المحيط به والمحبة والموت والطبيعة. توفي ايفان تورغينيف في 22 آب/أغسطس عام 1883 في بلدة بوجيفال بضواحي باريس بعد إصابته بمرض سرطان العمود الفقري. وقيل وفاته ترك وصية بان يدفن في روسيا. وبناء على ذلك نقل جثمانه إلى مدينة بطرسبورغ حيث دفن بمقبرة فولكوفو.

لمشاهدة: ايفان تورغينيف (الجزء الأول) **إضغظ هنا**
وللمشاهدة (الجزء الثاني) **إضغظ هنا**